حوليات آداب عين شمس المجلد 51 (عدد يناير – مارس 2023)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

الصوائف والشواتي في العصر العباسي الأول

د. حمد فهد حمد العازمي*

وزارة التربية – منتدب في التربية الاساسية
hamadaldmak@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/6/4
تاريخ قبول البحث: 2022/7/12
تاريخ النشر: 2023/3/31

المستخلص:

المقدمة

اتسمت العلاقات بين الخلافة العباسية والدولة البيزنطية بالفتور في أغلب أوقاتها، لاسيما في العصر العباسي الأول(132–232هـ/750–846م) الذي من الممكن أن نقول أنها وصلت لدرجة العداء المباشر بينهما، فكانت بيزنطة تنظر إلى الخلافة الناشئة بأنها القوة الكبرى التي من الممكن أن تكون منافسة لها على الصعيدين؛ الإقتصادي والحربي، وفي سبيل الدفاع والحفاظ – في آن واحد – على المصالح البيزنطية، حتم عليها التصدي للهجمات الإسلامية العباسية، ومن ثم الدخول في صراع حربي مع الخلافة العباسية للحفاظ على أمنها وسلامة ممتلكاتها.

وفي المقابل فقد حرص خلفاء بني العباس – وحسبنا الأوائل منهم – على اتخاذ تدابير صارمة لمواجهة القوة البيزنطية الغاشمة – من وجهة نظرهم – وذلك بانطلاق حملات حربية ممنهجة للاستيلاء على الثغور الواقعة بين الدولتين، وهي الحملات التي أطلق عليها اسم (الصوائف والشواتي) والتي كان يقوم بها المسلمون على الثغور البيزنطية.

وقد تناولت في بداية هذا البحث السبب الرئيس في تسمية تلك الحملات بالصوائف والشواتي، والحديث عن دورها اختصارًا في العصر الأموي، وصولا إلى العصر العباسي الأول – وتحديدا – خلال عهد الخلفاء أبو جعفر والرشيد والمأمون، الذين بذلوا جهودًا مضنية في سبيل إخضاع الكثير من الثغور للسيادة العباسية، وذلك بإرسال الحملات العسكرية تواليًا تجاهها، وهو الأمر الذي كبد الدولة البيزنطية خسائر جمة – وحسبنا – الإقتصادية والعسكرية، والتي ازدادت كلما يتم نقض العهود من جانبهم.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب – جامعة عين شمس 2023.

أولًا: موقف الثغور الإسلامية البيزنطية قبيل العصر العباسي:

تشير المصادر التاريخية أن الصراع الإسلامي البيزنطي بدأ مع بداية حركة التوسعات الإسلامية التي جاءت على حساب المستعمرات البيزنطية لاسيما في منطقتي بلاد الشام (وهي التي كانت تعرف بثغور الشام)[1] وشمال أفريقيا، ولما استقر المسلمين ببلاد الشام وانسحبت الروم عنها وقفت جبال طرسوس[2] حاجزًا طبيعيًا منيعًا بين الطرفين وذلك في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، وقد استمر القتال إذا ذاك سجالًا بين الطرفين في منطقة الثغور[3].

وبوجه عام كان المسلمون أثناء حروبهم كلما اجتازوا تلك المنطقة الثغرية الحاجزة بين الدولتين والتي كانت تسمى (بدار الحدث)[4] سميت حملاتهم باسم صائفة أو شاتية. وعلى الأرجح ومن خلال ما اطلعنا عليه، فإن مصطلح الصائفة يشير إلى الغزو صيفًا، وهي الحملات التي كان يقوم بها المسلمون في فصل الصيف ناحية منطقة الثغور، بينما الشواتي هي الحملات الإسلامية شتاءًا، والتي عادة ما تكون قليلة[5].

وقد ظهر الصراع جليًا في عهد الخليفة الأموي معاوية (41-60ه/661-680م) الذي حرص على إقامة جسرًا بمدينة منبج[6] لمرور حملات الصوائف عليه[7]، كما أقام إغارت حربية بحرية وبرية لحماية منطقة الثغور البحرية والبرية من هجمات البيزنطيين[8]، لاسيما في مدن طرسوس والمصيصة[9] وأنطاكيا[10].

وفي المقابل فقد بذل الخليفة معاوية جهودًا مضنية لإحكام السيطرة على منطقة الثغور، ولذلك تعمد إرسال الحملات الواحدة تلو الأخرى، وكان الهدف منها الاستيلاء على الحصون والمواقع العسكرية البيزنطية، ولعل أهم تلك الحصون التي سقطت في يد القوات الإسلامية حصن ملطية[11]، وهو حصن من أكبر المواقع العسكرية الثغرية البيزنطية، وعقب الاستيلاء عليه أصبح موقعًا إسلاميًا حصينًا، وبات فيه حامية عسكرية قوية تنطلق منها الصوائف والشواتي تجاه الثغور البيزنطية[12].

وبوجه عام فقد انتظمت الحملات على الحدود البيزنطية، حتى أصبحت أراضي العدو لا تخلو من الحملات الحربية صيفًا وشتاءًا واستمر الوضع هكذا حتى وفاة الخليفة الأموي معاوية سنة 60ه/680م، وعقب رحيله انشغل المسلمين عن حماية ثغورهم من الجار البيزنطي، وولوا جل إهتمامهم لحل الأمور السياسية الداخلية المشتعلة والتي تفاقمت بمجرد ارتقاء يزيد بن معاوية الخلافة(60-64ه/680-683م)، وعقب وفاته أصبح مروان ابن الحكم (64-65ه/684-685م) الخليفة الأموي، وقد تزوج من أرملة الخليفة السابق يزيد على أمل أن يجعل الأمر وراثيًا في أسرته، وهو ما تحقق فعليًا، وأورثه ولده عبد الملك بن مروان (65-86ه/685-705م)[13]، الذي أعاد الصوائف والشواتي على منطقة الثغور، فأرسال قواته إلى أنطاكيا ثم إلى المصيصة فبنى حصنها على أساسه القديم، ووضع بها حامية عسكرية مكونه من ثلاثمائة جندي، كما استولى على حصن سنان[14] سنة 85ه/ 705م[15].

ومع نهاية العصر الأموي استكمل آخر خلفاءها مروان بن محمد (127-132ه/744-750م) سياسة الاهتمام بالمناطق الثغرية، فأرسل قواته للاستيلاء على جيجان[16] ومن ثم تحصينها ببناء حائطًا ضخمًا، وأسكنها قوم من الفرس

والصقالبة وجعل حواليها خندقًا وعليها بابًا من الخشب[17]. وقد استمرت سياسة الحكيمة حتى انقطعت خلافته في الشام سنة (132ه/750م)[18].

ثانيًا: موقف الثغور الإسلامية البيزنطية إبان العصر العباسي الأول:

ورث العباسيون إرثًا ثقيلًا، ألا وهو النفوذ البيزنطي في منطقة الثغور في الشام وآسيا الصغرى، وعلى الرغم من استئصال العرب لشقفة الساسانيين، فإن البيزنطيين تحصنوا في مواقع حصينة للغاية، يطلو منها في ساعات الضعف أو الانشغال، ويتقهقرون إليها في ساعة القوة والوحدة الإسلامية[19].

في بداية الأمر انشغل الخليفة العباسي الأول أبي العباس السفاح (132-136ه/750-754م) بتأسيس الدولة الناشئة، وبذل جهود مضنية لهيكلتها وتثبيت أركانها داخليًا، وبسبب الأحداث السياسية الساخنة أنئذ والمرتبطة بانتهاء حقبة، وبداية أخرى[20]، كان أمرًا طبيعيًا أن يغفل أمر الثغور تمامًا، وهو ما دفع القوات البيزنطية بالاندفاع بقوة تجاه الثغور الشامية للسيطرة عليها وإعادتها للحوزة الأمبراطورية مرة أخرى.

وفي عهد أبو جعفر المنصور الذي فطن إلى أهمية التخوم الثغرية، أمر بتجهيز جيشًا سنة 138ه/756م لاستعادة ملطية مرة أخرى، وهو ما تحقق بالفعل، وعقب السيطرة عليها ولى عليها عمه صالح بن على[21] بهدف إعمارها وإعادة تنظيمها، وجعل لهذه المنطقة استقلالية تامة، وأصبح لها كيان إداري مستقل[22].

وإمعانًا في حماية الثغور الإسلامية لاسيما الاستراتيجية منها مثل ملطية، سخر الخليفة أبو جعفر جنود الدولة الجدد – وحسبنا – الخراسانيين منهم لمواجهة الخطر البيزنطي على تلك المدينة، فقد أرسل الخليفة من قبله القائد الحسن بن قحطبة في سبعين ألف، لإعادة بناءها عسكريًا من جديد، وقد استطاع الجند الخراسانية أن يعيدوا بناء ملطية في ستة أشهر فقط، وعقب انتهاء المهمة الحربية أمر الخليفة بترك عشرة آلاف مقاتل في ملطية لحمايتها والزود عنها[23].

ومع استمرار البيزنطيين في انتهاك المناطق الثغرية وعدم اكتراثهم من ناحية، واستباحتهم لأهم الحصون التي تقع تحت السيادة الإسلامية من ناحية أخرى، واصل أبو جعفر سياسة القوية تجاة التخوم والثغور البيزنطية، فأرسل قواته للاستيلاء على المصيصة، لتحصينها ورفع كفاءتها الحربية، وذلك ببناء سور هائل، وجعل لها خندق، وأسكن المقاتلة بها لمواجهة الخطر البيزنطي، وأوكل أبو جعفر تلك المهمة للعباس بن محمد وصالح بن علي[24].

وعلى هذا النسق نستشف أيضًا من حديث البلاذري(ت279ه/892م) أن المنصور هو من وضع أساس النظام الثغري الذي وصل إلى حد الكمال زمن الخليفة المعتصم، فكان يقسم المرابطين إلى جماعات تتألف من عشرة إلى خمسة عشر من المقاتلين، وكان يبني لهم البيوت والاصطبلات، فضلًا عن بناء حصنًا جديدًا على بعد ثلاثين ميلًا من دار اقامتهم، وأخر بنفس المسافة بالقرب من نهر يدعى قباقب، فضلًا عن بناءه حصنًا جديدً ناحية قلوذية[25].

ويبدو أن جهود المنصور في التنظيم والترتيب لحماية الثغور جاءت إيجابية في أغلبها، وأحدثت تفوقًا أسلاميًا كبيرًا على الجار البيزنطي، لاسيما وأنه حرص على تحديد أسلوب القتال وتقاليده، هذا الأسلوب وهذه التقاليد التي حافظ عليها الخلفاء الذين تعاقبوا بعده، فعملية الصوائف والشواتي على سبيل المثال لم تكن لها قاعدة معروفة قبل ذلك، لكن مع المنصور

أصبح هناك أوقات معينة يسير فيها المرابطون في الثغور، تحدث في فصل الربيع والصيف والشتاء وكانت الحملات تبدأ في منتصف مايو بعد أن تكون الخيل قد سمنت وقويت من رعيها في الاصطبلات التي خصصها المنصور لذلك، فضلًا عن تحديد زمن الصائفة بثلاثين يومًا، من منتصف شهر مايو إلى منتصف يونيو، وتجد الخيول أثناء هذه الغارات الغذاء الوفير والمرعى الخصيب في الثغر البيزنطي التي تعبث فيها، ثم يركن المسلمون إلى الراحة حتى منتصف يوليو، فتبدأ غارات الصيف وتستمر قرابة الشهرين، أما الشواتي فكانت في الفترة مابين مستهل فبراير والنصف الأول من مارس[26].

ونرى من جانبنا أن الخليفة أبو جعفر المنصور اتبع سياسية حربية جديدة تجاه قضية الثغور، واتخذ موقفًا مغايرًا لموقف من سبقة من خلفاء بني العباس أو بني أمية، فقد أعتمد الخليفة بحكمته في منطقة الثغور تقسيمات حربية جديدة، ومنح للمناطق الاستراتيجية مثل ملطية والمصيصة أهمية قصوى، وخطط لها ومدها بما يلزم من المقاتلة والأسلحة ومنحها بعض الأمور اللوجستية الأخرى كتدريب الجند ومدهم بالمال والغذاء والعتاد.

وفي عهد الخليفة المهدي (158–169ه/775–786م) لم يتغير الحال كثيرًا، فكان الخليفة حريصًا على حماية منطقة الثغور وتأمينها من الخطر البيزنطي، وفي العام نفسه أرسل الخليفة ولده هارون على رأس الجيش لتأمين جيحان[27] والاستيلاء على مدينة سمالو، فضلًا عن عدة حصون أخرى، وواصل ابن الخليفة توسعاته الثغرية حتى بلغخليج البحر الذي يطل على القسنطينية، وكان حاكم بيزنطة أنئذ أغسطه زوجة أليون، وجرت بينها وبين هارون بن المهدي الرسل والسفراء في طلب الصلح والموادعة وإعطائه الفدية، فقبل ذلك منها هارون، وشرط عليها الوفاء بما اعطت له، واتفقا الطرفان على أن تدفع أغسطه لهارون سبعو ألف دينار تدفعها في نيسان وفي حزيران من كل عام، وكتبوا الهدنة واتفقا أن تكون ثلاثة سنوات، وسُلمت الأساري بين الطرفين،ويذكر الطبري أن جملة الغنائم المكتسبة من أغسطه مهولة فهي عبارة عن خمسة آلاف وستمائة وثلاثة وأربعين رأس من الماشية، وذبح من البقر والغنم ما يقرب من مائة ألف رأس[28].

ويبدو أن الخليفة المهدي كانت لدية نفس الاتجهات والدوافع التي كانت لمن سبقه، بل كان احساسه بمشكلة الثغور عاليًا، لانه لم يكتفِ فقط بحملة ولده هارون سنة 163ه/ 880م على المناطق الثغرية، ففي العام التالي مباشرة وجه القائد الحسن بن قحطبة للاستيلاء على أكبر قد ممكن من التخوم البيزنطية، ويذكر البلاذري في هذا السياق أن الحسن بن قحطبة لشدته وجرأته صوروه على جدران كنائسهم[29].

ولم يكتفِ الخليفة بما أحرزه قائده الحسن بن قحطبه من نصرٍ، بل قرر أن يقود المعركة بنفسه على أن يصطحب معه ولده هارون المتمرس في ساحات القتال الثغرية، وبعد أن أدرك الخليفة أرض البستان الثغرية، فضل تسليم قيادة الجيش لولده هارون ومن ثم العودة إلى بغداد مرة أخرى، وعقب استلام هارون لإمرة الجيش توغل في منطقة آسيا الصغرى مخترقًا حصونها بكل قوة، ويذكر الطبري أن الجيش المصاحب لهارون كان يقدر ب95 ألف مقاتل، بكامل عتادهم الحربي[30] وهو الأمر الذي يدل على أن الدولة العباسية كانت تلقي بثقلها العسكري في هذه الحرب الضروس[31].

وفي عام 168ه/785م نقض البيزنطيون معاهدة الصلح السالفة الذكر وذلك في المدن التي بها هدنة وعهد بين الطرفين، وكان بين أول الصلح وغدر الروم ونكثهم به اثنتان وثلاثون شهرًا، فوجه عامل الخليفة على الجزيرة وقنسرين الوالي على بن سليمان قائده على منطقة الثغور يزيد بن بدر في سرية إلى الروم للاستيلاء على بعض التخوم، وقد استطاع القائد يزيد اخطاع المناطق التي انتكث عهدها من جانب البيزنطيين، وعقب ارساءه لقواعد الأمن والنظام عاد إلى قنسرين مرة أخرى[32].

ومع وصول الرشيد إلى العرش، استهل حكمه بعزل منطقة الثغور كلها عن الجزيرة وقنسرين[33]، وجعلهمًا حيزًا واحدًا وسميت العواصم[34]، وكان هذا الإقليم في الأساس هو جزءًا من أرض قنسرين والجزيرة، ففصله وجعل عاصمته منبج ورتب لها جيشًا دائمًا يرابط على الحدود[35].

وفي المقابل أمر الرشيد بتحصين مدينة الحدث وتأسيسها ثم بنائها وإعادة تنظيمها عسكريًا، وأمر بإقطاع مقاتليها من الجند العباسي المساكن والقطائع الجديدة، ويذكر البلاذري أن السبب الرئيس في اعتناء الرشيد بالحدث وإعادة هيكلتها هو تضررها من الثلوج التي تهدم أغلب مبانيها التي تأسست من الطوب اللبن[36].

ومن ناحية أخرى شعر البيزنطيون بضروة الوقوف في وجه الخليفة الجديد، فاجتمعوا في عام 171ه وتآمروا بالخروج إلى طرسوس لاخضاعها لهم عسكريًا، وجعلها حصنًا بيزنطيًا، ومن ثم تحصينها وترتيب المقاتلة فيها لمواجهة الخطر الإسلامي المحدق بهم، وكان هذا الأمر بمثابة الرد البيزنطي على تحصين مدينة الحدث كما ذكرنا، ومع وصول نبأ الحملة إلى الخليفة، قام على الفور بإرسال هرثمة بن أعين مع الجند لتحصين طرسوس وتنظيمها وتجهيزها حربيًا لمواجهة العدو البيزنطي، وقد قام هرثمة باستدعاء ثلاثة آلاف مقاتل خراساني وجعلهم على باب طرسوس، كما استدعي ألف مقاتل من أنطاكيا، وألف أخرى من جند المصيصة، وجعلى الألفان على المدخل الثاني للمدينة، مع زيادة رواتبهم بمقدار عشرة دنانير لكل فرد مقاتل، وعسكر الجند لحماية المدينة، وتفرغ أهلها والمهاجرين إليها داخليًا ببناء منازلها وأسواقها، فضلًا عن مسجدها، وقد انتهوا من أعمالهم سنة 172ه، وخلال تلك الفترة لم تجرأ القوات البيزنطية المتآمرة على مهاجمة طرسوس[37].

ومع دخول عام 177ه كلف الخليفة عامله على منطقة الثغور عبد الملك بن صالح بضرورة السيطرة على مدن ثغرية جديدة، فأرسل عبد الملك القائد محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن إلى شمشاط[38] للسيطرة عليها، وعلى الرغم من فتحه المدينة عنوة، فإن الأمر لم يدم طويلًا، إذ أن البيزنطيين وبعد أقل من أربعة عشرة يومًا استردوا شمشاط وأخرجوا الجند الإسلامي منها[39].

واستمر هارون الرشيد في تفوقه على الجانب البيزنطي، إذ قام في سنة 182ه باستغلال المشهد السياسي الداخلي المرتبك أنئذ في الدولة البيزنطية، إذ قاموا بعزل الإمبراطور قسطنطين بن أليون وسمل عيناه، وأقروا أمه إريني على العرش البيزنطي بدلًا منه ولقبوها بأغسطه، ومع انشغال الروم بما يدور في القسطنطينية[40]، استغل هارون الرشيد

الوضع وأرسل الصائفة وعلى قيادتها عبد الرحمن بن عبد الملك، فاستولى على منطقة التخوم حتى وصل إلى مدينة دفسوس، فضلًا عن سيطرته قبل ذلك على مدينة مطمورة[41] وهي بالقرب من أنقرة[42].

وعلى الرغم من قيام الرشيد بتأمين المنطقة الثغرية بشكل كبير، فإنه لم يكتفي بما حققه، إذ قام في عام 183ه بالاستيلاء على مدينة معصوف[43]، فضلًا عن عين زربة[44] والتي تم تحصينها، وجلب المقاتلة إليها من خراسان، وأقطعهم المنازل والأراضي، كما استولى على مدينة الهارونية[45] وعلى ذات النسق جلب لها الجند الذين منحوا الأراضي للإقامة المستمرة بها، مع زيادة رواتبهم، ويذكر قدامة بن جعفر أن الهارونية كان بها كنيسة تهدم أجزاء منها، فأمر الرشيد بإعادة بنائها، فضلًا عن ترميم حصنها القديم الذي تضرر مسبقًا[46].

ويتضح مما ذكرناه أن الخليفة هارون الرشيد قد نجح بسياسته في تنفيذ اجندته في منطقة الثغور، واجبار الإمبراطورية البيزنطية من الرضوخ لسياسة وتدابيره، لكن ما هي الأسباب الرئيسة التي جعلت الرشيد ينجح بشكل غير مسبوق تجاه قضية الثغور، يرى أحد الباحثين أن الرشيد كان يرسل أبنائه على رأس الصوائف كما فعل في عام 188ه، حين أرسل ولده القاسم على رأس قوة حربية لإخضاع بعض المناطق الثغرية مثل سنان وقرة [47]، وفي أوقات أخرى كان يخرج بنفسه لقيادة الصوائف[48]، كما حدث سنة 190ه بغزو الروم والاستيلاء على مدينة هرقلة[49] ويبدو أن هذه العوامل وطريقته في الإدارة كانت كفيلة من أن يواجه الرشيد المشكلة البيزنطية بتركيز أشد وأقوى.

ويبدو أن جهود الرشيد كانت قد تركت جرحًا عميقًا في جسم الدولة البيزنطية لم تستطع أن تفيق منه في سهولة ويسر، يدل على هذا أنها لم تحاول أن تستغل التصدع في داخل الدولة العباسية إبان الفتنة بين الأمين والمأمون، وكانت الفتنة فرصة مواتية لأي هجوم مضاد لاستعادة ما فقدوه في عهد الرشيد[50].

أما في عهد الخليفة المأمون فقد كانت الأوضاع الحربية في منطقة الثغور مستقرة إلى حد بعيد، على عكس ما تبوح به الأوضاع الداخلية الساخنة بينه وبين أخيه المأمون، فالوضع كان هادئًا على تخوم الدولة، وطبيعي أن ننسب حالة الاستقرار الثغرية تلك إلى والده الرشيد. وبصفة عامة فقد ورث المأمون إرثًا ثقيلًا مشتعلًا داخليًا، وخفيفًا وهادئًا خارجيًا، وهو ما جعله ينصرف في بداية حكمه عن البت في أمر منطقة الثغور، وتوحيد طاقته لتوحيد الجبهة داخليًا. وكانت بداية الاهتمام بالمنطقة الثغرية في عام 205ه حينما قام بتعيين حمزة بن مالك الخزاعي عاملًا على منطقة الثغور[51].

كما منح المأمون الضوء للسيطرة على الحدث من جديد، لاسيما بعد أن أغار عليها البيزنطيون وأحرقوا مبانيها ودمرو حصونها، فاستولى الجند العباسي على الحدث، كما استولوا على أغلب الحصون المجاورة لها، فما كان من البيزنطيون إلا الرضوخ وطلب الصلح، فلم يجيبهم أحد، فاستكمل الجند الإسلامي مهمته وساحوا في منطقة الثغور وسيطرو على المناطق ذات الأهمية الاستراتيجية، واستمر تفوق الجيش الإسلامي حتى أصيب القائد يقظان بن يزيد، فأحدث هذا الأمر انتكاسة في الجيش الإسلامي[52].

وفي عام 215ه خرج المأمون بنفسه متوجهًا إلى أرض الروم، وكان على رأس الصائفة التي حاولت السيطرة على أغلب الثغور البيزنطية، وانطلقت حملته حتى وصلت إلى منبج، ثم إلى دابق، ثم إلى انطاكية، وصولًا إلى المصيصة ومنها إلى طرسوس[53]، وواصل مسيرته حتى وصل إلى أنقرة والتي خضعت لهم نصفًا بالصلح ونصفًا بالسيف على حد وصف اليعقوبي[54]، وعقب السيطرة عليها خُربت تمامًا وهرب مانويل البطريق منها، وقد واصل المأمون صائفته بالسيطرة على اثني عشر حصنًا، ومنهم حصن قرة الذي فتحة عنوة وأمر بهدمه، وأيضًا حصن سندس وحصن سنان فضلًا عن حصن ماجدة[55].

وعاد المأمون مرة أخرى وخرج في عام 217ه قاصدًا منطقة الثغور[56]، ويذكر الطبري أن سبب خروج المأمون على رأس الصائفة للمرة الثانية تواليًا هو ورود الخبر على المأمون بأن ملك بيزنطة قد قتل قومًا من أهل طرسوس والمصيصة[57]، واتخذ المأمون طريقه حتى صار إلى حصن لؤلؤة[58] وبنى هناك حصنيين اخريين وأنزل بهما رجالًا من قبله وعلى رأسهم شخص يدعى عجيف بن عنبسة، لكن الأخير وقع في الأسر، وظل شهرًا في يد القوات البيزنطية، والأمر انتهى بالافراج سلمًا عن القائد عجيف بن عنبسة، وتركوا الحصن لأهله يحكمونه[59].

وقد وجه المأمون ولده العباس إلى أرض الروم في سنة 218ه وأمره بالاستيلاء على مدينة تدعى الطوانة، والعمل على إعادة بنائها وتحصينها، وجعل سورها على ثلاثة فراسخ، وجعل لها أربعة أميال، وبنى على كل باب حصنًا، وعقب أداء العباس لمهمته، عاد مرة أخرى إلى بغداد[60].

وكعادة المأمون ولعلمه بمدى أهمية المنطقة الثغرية، خرج على رأس الجيش في صائفة جديدة للاستيلاء على منطقة التخوم، واستولى الخليفة على العديد من المدن والحصون العسكرية، حتى أنه واصل سيطرته حتى وصل إلى القسطنطينية، فأتاه رسول إمبراطور بيزنطة يدعوه إلى الصلح والمهادنة، ورغم رفضه في بداية الأمر، إلا أنه مالبث أن وافق على الحل الدبلوماسي، وكان أنئذ المأمون وسط قواته في مدينة البدندون[61] وهي واقعة ما بين لؤلؤة وطرسوس، وبشكل مفاجئ توفي المأمون سنة 218ه ودفن في طرسوس[62].

الخاتمة

لم يكن الصراع بين الخلافة العباسية والإمبراطورية البيزنطية صراعًا عسكريًا فحسب، بل كان صراعًا سياسيًا من الطراز الأول، كانت الغلبة فيه للجانب العباسي في عهود الخلفاء أبو جعفر المنصور وهارون الرشيد والمأمون، بينما انعكس الوضع وأصبح لصالح بيزنطة في عهد الخلفاء أبي العباس السفاح والمهدي، والسبب في ذلك من جانبنا؛ ربما لانشغال العباس بتوطيد أمور الدولة الناشئة، ولقصر عهد الخليفة المهدي.

حرصت الخلافة العباسية على الاستيلاء على أغلب حصون المنطقة الثغرية التي تتشارك فيها مع بيزنطة، وكان ذلك عن طريق الصوائف التي كانت ترسلها بشكل دوري. كما حرص جانب من الخلفاء على ترأس الحملات الحربية في منطقة الثغور، مما أحدث ثقلًا لها، وأحدث بالتبعية الفارق العسكري، ومن ثم النصر للجانب العباسي.

اعتمدت الامبراطورية البيزنطية الحلول الدبلوماسية مع الخلافة العباسية في أوقات عدة، **أولًا:** عند ضعف قوتها العسكرية إما بسبب النقص الحاد في عملية التسليح، أو في صعوبة إمداد القوات البيزنطية في منطقة الثغور بالأمور اللوجستية ؛كالغذاء والعتاد الحربي. **ثانيًا:**وجود خلفاء أقوياء على رأس الدولة العباسية، جعل أباطرة بيزنطة بذل جهد مضاعف لكسب ودهم بتقديم أموالًا باهظة لهم في مقابل عقد هدنة ثنائية بين الطرفين.

Abstract

Al-Saouif and Shawati in the first Abbasid era

By Hamad Fahad Hamad Al-Azmi

At the beginning of this research, I dealt with the main reason why these campaigns were called al-Sawaif and al-Shawati, and talked about their role in brief in the Umayyad era, up to the first Abbasid era - specifically - during the era of the caliphs Abu Jaafar, al-Rashid and al-Ma'mun, who made strenuous efforts in order to subjugate many frontiers to sovereignty Abbasid, by sending military campaigns successively towards it, which incurred the Byzantine state huge losses - and according to us - economic and military.

الهوامش:-

([1])الثغر بفح المثلثة وسكون الغين المعجمة هي اسم لكل موضع يكون في وجه العدو مباشرة. للمزيد، أبي الفداء، تقويم البلدان، (اعتنى بتصحيحه وطبعه البارون ماك ديسلان)، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1850م، ص234.

([2])ابن حوقل: صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992م، ص154,153، طرسوس هي من مدن الثغور، وتقع في الإقليم الرابع، ويقال أنها من مدن الثغور الشامية، وهي تطل على ساحل البحر الأبيض، وكانت قاعدة للهجوم الإسلامي على العاصمة البيزنطية القسطنطينية. للمزيد انظر، ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ليدن المحروسة، 1889م، ص253,252.

([3])البلاذرى: فتوح البلدان، القاهرة، ط1، 1901م، ص171,170.

([4])دار الحدث قلعة حصينة فوق جبل يقال له الأحيدب، وفتحت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب على يد القائدحبيب بن مسلمة الفهري. للمزيد انظر، ياقوت الحموي: معجم البلدان، المجلد الثاني، دار صادر، بيروت، 1977م، ص277.

([5])البلاذرى: فتوح البلدان، ص168,167.

([6])منبج: بفتح الميم وسكون النون وكسر الباء، وهي إحدى مدن بلاد الشام، وبنيت في عهد أحد ملوك الأكاسرة الذي استولى علي الشام، وقد أسماها منبه وبمرور الزمن عُرب الإسم ليصبح منبج وتشتهر بسورها الذي يحيط بها. للمزيد انظر، ابن رسته: الأعلاق النفيسة، ص97.

([7])البلاذري: فتوح البلدان: ص157.

([8])البلاذري: فتوح البلدان: ص160، أبي الفداء، تقويم البلدان، ص234.

([9])بكسر الميم وتشديد الصاد، تقع في الإقليم الرابع، وهي من أشهر بلاد الشام ولها مدينتان إحداهما تسمى المصيصة والأخرى كفربيا، وهي أراضي خصبة جدًا، وأعيد بناءها وتجديدها مرة أخرى في عهد الخليفة أبو جعفر المنصور. للمزيد انظر، ابن رسته: الأعلاق النفيسة، ص97، الاصطخري: مسالك الممالك، مطبعة بريل، ليدن، 1937م، ص58.

([10])قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة (تعليق: محمد حسين الزبيدي)، دار الرشيد للنشر، العراق، 1981م، ص307، البلاذرى: فتوح البلدان، ص168.

([11])حصن من أكبر المواقع العسكرية الثغرية البيزنطية، استولى عليها المسلمين في عهد بني أمية، وهي مدينة من تأسيس الإسكندر الأكبر وتعتبر من بلاد الروم. للمزيد انظر، ابن رسته: الأعلاق النفيسة، ص97، بن سعيد: كتاب الجغرافيا، حققه إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1977م، 171.

([12])البلاذري: فتوح البلدان: ص160، أبي الفداء، تقويم البلدان، ص235,234.

([13])أبي حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر وجمال الدين الشيال، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، 1959م، ص325,324.

([14])هي مدينة تقع في بلاد الروم، وتتسم بمناعتها وشدة حصانتها، وبها حصن عسكري من أكبر الحصون الثغرية، وسيطر عليها المسلمين في عهد عبد الملك بن مروان. للمزيد انظر، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج3، ص260,258.

([15])قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص307.

([16]) هو نهر عظيم يخترق المصيصة بالثغر الشامي، ومخرجه من بلاد الروم، ويمر حتى يصب بمدينة كفربيا. للمزيد انظر، ياقوت الحموي: مهجم البلدان، المجلد الثاني، ص196.

([17])قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص307.

([18])ابن خياط: تاريخ بن خياط، راجعه وضبطه مصطفى نجيب وحكمت فواز، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1995م، ص267، المسعودي: التنبيه والاشراف، مطبعة بريل، ليدن، 1893م، ص329.

([19])حسن محمود: العالم الإسلامي، ص162.

([20])اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، دار صادر، ط6، بيروت، 1995م، ص350,349.

([21])البلاذرى: فتوح البلدان، ص195، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص390، قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص319.

([22])حسن محمود: العالم الإسلامي، ص156.

([23])البلاذري: فتوح البلدان، ص196، قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص319، حسن محمود: العالم الإسلامي، ص156.

([24])اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص390,362.

([25])فتوح البلدان، ص196.

([26])حسن محمود: العالم الإسلامي، ص164.

([27])هو نهر يقارب الفرات في الكبر، ويسميه العامة جهان، ويسير من الشمال إلى الجنوب في حدود الروم حتى يمر بالمصيصة من شمالها. للمزيد انظر، البروسوي: أوضح المسالك، 77.

([28])الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ص572، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص396.

([29])فتوح البلدان، ص198.

([30])الطبري: تاريخ الأمم والملوك، المجلد الرابع، ص572.

([31])حسن محمود: العالم الإسلامي، ص165.

([32])الطبري: تاريخ الأمم والملوك، المجلد الرابع، ص582.

([33])بكسر أوله وفتح ثانيه، وفتحت قنسرين على يد أبي عبيدة بن الجراحفي سنة 17ه وتشتهر بحصنها المنيع، وهي إحدى مدن انطاكيا. للمزيد انظر، ابن رسته: الأعلاق النفيسة، ص97، المقدسي: أحسن التقاسيم، ص154، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4، ص403.

([34])الطبري: تاريخ الأمم والملوك، المجلد الرابع، ص620. العواصم اسم للناحية ككل وليس موضعًا بعينهوتنتمي إليها مدن عدة مدن ثغرية. للمزيد،البروسوي: أوضح المسالك، ص476.

([35])حسن محمود: العالم الإسلامي، ص166.

([36])البلاذري: فتوح البلدان، ص199.

([37])قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص311,310.

([38])هي مدينة بالروم على شاطئ الفرات، وتقع في الإقليم الرابع، وهي بالقر من مدينة آمد الثغرية الشهيرة، ويذكر ياقوت الحموي أنها سميت كذلك على اسم شمشاط بن اليفز بن سام بن نوح. للمزيد انظر، ابن رسته: الأعلاق النفيسة، مطبعة بريل، ليدن، 1893م، ص97.

([39])البلاذري: فتوح البلدان، ص193.

([40])هي معقل إمبراطور الروم بينها وبين بلادالمسلمين البحر المالح، سميت على اسم قسطنطين الأكبر إمبراطور الروم. للمزيد انظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، 347.

([41])بلد في ثغور الروم وتتوسط المسافة بين طرسوس وأنقرة. للمزيد انظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص151.

([42])الطبري: تاريخ الأمم والملوك، المجلد الرابع، ص646,645. انقرة: بفتح الهمزة وسكون النون وهي من بلاد الروم الشهيرة، فتحها الخليفة المعتصم، تشتهر بقلعتها وحصونها المنيعة. للمزيد انظر، البروسوي: أوضح المسالك، ص177.

([43])الدينوري، الأخبار الطوال، ص390.

([44])وقيل عين زربي وهي مدينة بالثغر من نواحي المصيصة، وقد استولى عليها الروم عقب وفاة الرشيد وظلت في ايديهم . للمزيد انظر، الاصطخري: مسالك الممالك، ص58، البروسوي: أوضح المسالك، ص478,409، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص178,177.

([45])هي مدينة صغيرة قرب مرعش، استحدثها هارون الرشيد، وبتلك المدينة سوران وباب حديد. للمزيد انظر، البروسوي: أوضح المسالك، ص641.

([46])الخراج وصناعة الكتابة، ص311.

([47])اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص423. قرة: هي قرية قريبة من مدينة القادسية الشهيرة. للمزيد انظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص335.

([48])اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص431.

([49])الدينوري: الأخبار الطوال، ص391. مدينة هرقلة ضبطها بالكسر ثم الفتح وهي من بلاد الروم وسميت بذلك نسبة إلى هرقلة بن اليفز بن سام بن نوح، وفتحت في عهد هارون الرشيد، الذي فتحها عنوة بعد حصار طويل. للمزيد انظر، البروسوي: أوضح المسالك، ص643.

([50])حسن محمود: العالم الإسلامي، ص172.

([51])اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص455.

([52])البلاذري: فتوح البلدان، ص200.

([53])الطبري: تاريخ الأمم والملوك، المجلد الخامس، ص181.

([54])اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص465.

([55])الطبري: تاريخ الأمم والملوك، المجلد الخامس، ص181.

([56])اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص467.

([57])الطبري: تاريخ الأمم والملوك، المجلد الخامس، ص182.

([58])هي قلع حصينة بالقرب من طرسوس فتحها المأمون واستولى عليها. للمزيد انظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص26.

([59])اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص467.

([60])الطبري: تاريخ الأمم والملوك، المجلد الخامس، ص186.

([61])الدينوري: الأخبار الطوال، ص401.

([62])اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص467، الطبري: تاريخ الأمم والملوك، المجلد الخامس، ص195، المقدسي: أحسن التقاسيم، في معرفة الأقاليم، ص131.